الكوارث والأزمات الاقتصادية في الموصل والجزيرة الفراتية في المصادر السريانية التاريخية (ق 2 – 7 هـ / ق 8 – 13 م)

إبراهيم حسن محمد* و سعد رمضان محمد**

تأريخ التقديم: 2019/9/22 تأريخ القبول: 2019/10/20

المستخلص :

ثمة من يتصور أن موضوع البحث الذي نحن بصدد الكلام عنه ربما يكون موضوعاً تقليدياً سبق وأن تم تناوله من قبل كثير من الباحثين ، أي إن دراسة الأحوال الاقتصادية في الموصل والجزيرة الفراتية سبق وأن تم دراستها ، وقد نتفق مع هذا التوجه لو أننا اعتمدنا في دراستنا على المصادر الاسلامية والمراجع وكل ما كتب حول الموصل والجزيرة الفراتية .

إلاّ أن الدراسة هذه تختلف اختلافا جذرياً عما ورد ذكره أعلاه ، وقد ارتئينا تخصيص هذه الدراسة للأزمات الاقتصادية التي حدثت في الموصل والجزيرة الفراتية من خلال المصادر السريانية التاريخية والتي أوردت بلا شك معلومات مهمة ونادرة قد لا نجدها في المصادر الاسلامية ، كذلك ان من الإنصاف القول ان المصادر السريانية أغفلت كثير من المعلومات التي انفردت بها المصادر الاسلامية .

علما انها كانت في بعض الأحيان تشاطر ما ورد من معلومات اقتصادية عن الموصل والجزيرة الفراتية في المصادر الاسلامية ، وقد حرصنا في هذه الدراسة على الاستعانة ببعض المعاجم اللغوية البلدانية والمصادر الاسلامية للضرورة القصوى بغية تعريف بعض الأماكن والمفردات التي لم يرد لها تعريف في المصادر السريانية بقصد أو بغير قصد .

وتقوم هذه الدراسة المتواضعة على العديد من المحاور المهمة والتي حرصنا من خلالها على توخي الدقة في ذكرنا للمعلومات التي أوردتها المصادر السريانية وحسب التسلسل التاريخي للأحداث ، ولكي تكتمل الصورة فقد حرصنا على التعريف ببعض المصطلحات

* مديرية تربية نينوى/ وزارة التربية العراقية .

** أستاذ مساعد / قسم التاريخ/كلية التربية الإنسانيَّة/ جامعة الموصل

والمفردات التي وردت في البحث ، وانطلاقا من العنوان فقد بدأنا بالتعريف من الأزمات الاقتصادية ، ومن ثم حددنا جغرافياً موقع الموصل والجزيرة الفراتية ، كذلك عرفنا ما المقصود بالمصادر السريانية لأبرز المؤرخين السريان التي استقينا منها معلوماتنا من مؤلفاتهم .

تضمنت الدراسة العديد من المحاور منها : أهم الكوارث الطبيعية التي عصفت بإقليم الموصل والجزيرة الفراتية ، وكانت الفيضانات في مقدمتها ، اذ حصلت مدينة الموصل على النصيب الأكبر من فيضانات نهر دجلة بسبب وقوعها عليه ، وقد أدت هذه الفيضانات الى إلحاق أضرار كبيرة بهذه المدينة وأهلها ، زد على ذلك فإننا عرجنا على المجاعة والتي كانت من أهم الكوارث الطبيعية وأبرزها ، اذ أجبرت سكان الموصل والجزيرة الفراتية بترك أماكن سكناهم والهجرة الى أماكن أخرى .

كذلك لا يمكن لنا ان نتغافل بأي حال من الأحوال عن الأوبئة والحشرات الضارة التي أدت الى أزمات اقتصاديه حادة ، ولا تقل مسألة انحباس الأمطار خطورة عن غيرها من الأزمات التي سببت أي انحباس الأمطار في حدوث مجاعات وجدب وقحط شديد في الأرض ، كذلك كان للطقس وتقلباته اثرا سلبيا ايضا على مجمل الحياة الاقتصادية ، فالرياح الشديدة وارتفاع درجات الحرارة كلها لعبت دوراً سلبيا وأدت الى ايجاد أزمات اقتصادية ، ويبدو ان سكان اقليم الموصل الجزيرة الفراتية لم يكونوا بعيدين عن الزلازل والتي اثرت سلبا على النشاط الاقتصادي للسكان .

الكلمات المفتاحية : زراعية؛ حيوانية؛ توطين

توطئة :

قبل الدخول في تفاصيل الأزمات الاقتصادية وأسبابها لابد لنا من توضيح وتعريف بعض المفردات الواردة في العنوان لكي تكون واضحة بشكل جلي للقارئ وهي :

1. **الأزمات الاقتصادية** : كل خلل يحدث في موارد الدولة بسبب عوامل طبيعية او بشرية وينعكس اثره على الدولة والافراد [1] .

---

(1) عطا ، عثمان علي محمد : الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (648 – 923 هـ / 1250 – 1517 م) ، الهيئة المصرية للكتاب ، (د . م :

2.**الحدود الجغرافية لإقليم الموصل والجزيرة الفراتية :** فيما يخص حدود اقليم الموصل والجزيرة الفراتية سنعتمد على معالم الظواهر الطبيعية المحيطة بها ، وذلك لأن التغيير في معالم هذه الظواهر بطيء وقليل جدا ، فمن الشمال تحدها منابع نهر الفرات وروافده وسلسلة جبال طوروس ، ومن الجهة الجنوبية أرض السواد من العراق ، ويحدها من الشرق والشمال الشرقي نهر دجلة ، اما من الجهة الغربية فيكون الفرات حدها الغربي الى هيت والانبار [1].

3.**أما فيما يخص المصادر السريانية :** هي تلك الكتب التي عكف على تدوينها المؤرخين السريان فسميت بالمصادر السريانية نسبة الى أصول مؤلفيها الذين شاركوا وبشكل فاعل في تدوين تاريخ الموصل والجزيرة الفراتية لاسيما الجانب الاقتصادي منه لكونهم يمثلون جزءاً أصيلاً من النسيج السكاني لهذه المنطقة ولهم خصوصية حضارية من لغة ودين ، فجاءت مدوناتهم لتلقي الضوء على تاريخ المنطقة الاقتصادي من وجهة نظرهم ، وتأتي أهمية رواياتهم لأنهم كانوا معاصرين لأحداث هذه المنطقة ومنهم على سبيل المثال تاريخ الراهب الزقنيني (ت 159 هـ / 775 م) والوقائع التاريخية السريانية سنة (587 – 1191 م) وتاريخ الأزمان ، وكلاهما للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري (ت 231 هـ / 845 م) ، كذلك تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير لمار ميخائيل السرياني الكبير (ت 596 هـ / 1199 م) وتاريخ الزمان لابن العبري (ت 685 هـ / 1286 م) .

تعرض اقليم الجزيرة الفراتية والموصل للعديد من الكوارث الطبيعية ، والتي اثرت تأثيرا واضحا في الأحوال الزراعية في الاقليم ، وأسهمت الظروف القاسية التي تعرضت لها المنطقة من أمطار وفيضانات ورياح وجفاف وقلة الامطار والزلازل ، فضلا عن الآفات الزراعية المتمثلة بالحشرات وارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها ، كل هذه العوامل مجتمعة اثرت تأثيرا مباشرا على النشاط الزراعي فألحقت خسائر مادية كبيرة بالفلاحين في بعض السنوات ، وأهم هذه الكوارث والأزمات :

د . ت) 51 ؛ خطاب ، مهند نافع : الأزمات الاقتصادية في العراق (132 – 447 هـ / 749 – 1055 م) ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، (الموصل : 2008 م) 12 .

(1) الهاشمي ، طه : مفصل جغرافي العراق ، (بغداد : 1930 م) 532 .

أولا : مجموعة العوامل المناخية :

1 – الجفاف انحباس المطر :

تعد الأمطار وما توفره من مياه ضروري للإيفاء بمتطلبات واحتياجات المزروعات لنموها سيما تلك التي تعتمد في ريها على الأمطار كالحنطة والشعير وغيرها من المزروعات الأخرى والتي تكون اراضيها بعيدة عن مصادر المياه الأخرى ، كما ان الامطار ضرورية لنمو الأشجار والنباتات الاخرى في الجبال والمناطق المرتفعة التي يصعب معها استخدام وسائل الري ، فضلا عن اهميتها في ري المروج (المراعي) التي توفر الغذاء لمختلف انواع الحيوانات .

ان قلة سقوط الامطار وانعدامها في بعض السنوات تؤدي الى حدوث مجاعات وذلك لعدم حصول الاراضي الزراعية على المياه اللازمة لنموها وتأخر سقوط الأمطار في اوقات احتياجات المحاصيل لها فينعكس ذلك سلبا على ضعف وقصور في نموها فيؤثر ذلك على نوعية وكمية المحصول وأن النتيجة الحتمية لانعدام سقوطها هو القحط لعدم حصول البذور على ما توفره المياه من ظروف يجب توفرها لنمو تلك البذور فينعدم وجود المحاصيل والغلال التي يعتمد عليها سكان الجزيرة الفراتية والموصل في غذائهم ، ففي سنة (125 هـ/ 743 م) حل في الارض قحط وبيل فالمطر لم يسقط في اوانه والزروع كلها يبست حتى ان البذور لم تنبت فعم الغلاء والجوع [(1)] .

ويشير التلمحري الى ذلك بقوله : " حل بالأرض جدب شديد وذلك لأن السماء امتنعت وحبست امطارها لهذه السنة حتى ان العيون والينابيع قل ماؤها وبعض الانهار جفت مجاريها فعم الغلاء وظهرت المجاعة وصار الاغنياء كالفقراء حتى ان الحيوانات وآكلات العشب هلكت لعدم وجوده " [(2)] ، وهذا يثبت مدى اهمية وضرورة مياه الامطار بالنسبة للمحاصيل والسكان على حدٍ سواء سيما فيما يخص توفر مياه الشرب والمواد الغذائية الضرورية لديمومة الحياة .

---

(1) الراهب الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني المنحول لديونيسيوس التلمحري ، ترجمة : بطرس قاشا ، المكتبة البوليسية ، (بيروت : 2006 م) 90 .

(2) ديونيسوس : الوقائع التاريخية السريانية من سنة (587 – 774 م) ، ترجمة : بطرس قاشا ، ط 1 ، المنظمة العربية للترجمة ، (بيروت : 2016 م) 57 .

لا تقتصر مياه الامطار على المحاصيل والاراضي الزراعية فقط وانما يستخدمها الانسان في تسيير شؤونه الضرورية الأخرى ومنها بالدرجة الاولى مياه الشرب التي تحافظ على ديمومة الحياة ، اذ لولاها لانعدمت الحياة وهي التي تتحكم وبشكل كبير في رسم الطريق لهجرات جماعية للسكان من مناطق تقل فيها الى مناطق اخرى تتوفر عليها فأغلب الكائنات تموت عطشا عند قلة وانعدام الامطار فيها فيدفعها ذلك الى البحث عن مناطق تتوفر عليها ، ففي سنة (150 هـ / 767 م) حل موت بالمخلوقات الحية بسبب العطش لانعدام سقوط الامطار في الجزيرة الفراتية فجميع التغلبيين والمعديين صعدوا الى المنطقة بأهلهم وأغنامهم وجمالهم مما زاد الأوضاع سوءاً [1] .

ولكون الموصل من مدن الجزيرة الفراتية والمعروفة بزراعة الحبوب سيما الحنطة والشعير وتعتمد في ريها على مياه الامطار في الاراضي التي تكون بعيدة عن مياه نهر دجلة والعيون والينابيع فعندما يقل سقوط الامطار في موسم من المواسم فان ذلك يهدد زروعها ومحاصيلها بالجفاف والشحة ، اذ شهدت سنة (154 – 155 هـ / 771 – 772 م) جفاف كل زروع الموصل واشتدت الكارثة بنزوح سكان المناطق الشرقية والجنوبية المجاورة لبلاد الجزيرة نحو الموصل والمناطق الشمالية الاخرى من ارض الجزيرة فأصبحت الموصل والاقسام الشمالية غير قادرة على استيعاب مثل هكذا اعداد سيما انها وافقت سنة انعدام وانحباس الامطار [2] .

عند انحباس الامطار وتأخر سقوطها عن اوقات احتياج الزروع للنمو كبداية الشتاء والربيع فان ذلك يدل على ان زروع هذه السنة لا ينمو منها الا القليل والذي ينمو يتسم بالضعف وغير منتج فتقل بذلك المحاصيل والمنتجات الغذائية والتي اعتادوا جنيها في سنوات الخير ، وهو ما يدفع الجشعون والاستغلاليون الى ان يستغلُوا الظروف فيمتنعوا عن البيع ينتظرون زيادة حاجة الناس لها ليحققوا ارباحا مضاعفة ، ما ادى الى شحة المواد الغذائية وسيادة الغلاء وظهور المجاعة ، إذ شهدت سنة (156 هـ / 773 م) شحة في سقوط الأمطار في

---

(1) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 192 .

(2) التلمحري ، ديونسيوس (حياً ق ٢هـ/ ق ٨ م) : تاريخ الأزمان ، ترجمة : شادية عبد الحافظ ، المركز القومي للترجمة ، (القاهرة : 2008 م) 193 .

فصل الشتاء ، مما انعكس سلباً على إنتاج المحاصيل الزراعية وتسبب في ارتفاع أسعار المواد الغذائية ، مما أثقل كاهل الناس بأعباء باهظة (1) .

يعد القمح من الحبوب الغذائية الرئيسة التي يعتمد عليها سكان الموصل والجزيرة الفراتية في غذائهم بشكل كبير لذلك يزرع على مساحات واسعة من ارض الجزيرة فمعظم هذه المساحات تعتمد في ريها على الامطار سيما تلك التي تفتقر الى مصادر المياه الاخرى ووسائل ري تلك المصادر لذلك تتوقف وفرة المحصول وانتاجه على وفرة الامطار ، ففي المواسم التي لا تسقط فيها امطار كافية لمتطلبات المحصول فانه يشح وينعدم ، ففي سنة (205 هـ / 821 م) حدث قحط كبير في القمح ، لاحتباس المطر في شتاء هذه السنة فحصل نقص كبير في محصول القمح وباد البشر والحيوانات بسبب الجوع ، فبلغ الأمر بالناس الى اليأس (2) .

لا تقتصر اهمية مياه الامطار على سقي المزروعات فحسب بل انها تعد مصدر تغذية مهم للمياه الجوفية بعد الثلوج ، ففي السنوات التي تسقط فيها الامطار بغزارة فان مياهها ستملئ الوديان والمنخفضات الارضية المنتشرة فوق سطح الارض فتتجمع كميات كبيرة من مياه الامطار في هذه المنخفضات والوديان فالمياه المتجمعة ستتسرب تدريجيا الى باطن الارض وتزود خزانات المياه الجوفية بالمياه التي ستظهر على شكل عيون وينابيع اذا زادت عن الطاقة الاستيعابية للخزان ، اما في السنوات التي تشح فيها الامطار فان هذه العيون والينابيع ستجف وتنقطع مياهها ، ففي سنة (536 هـ / 1142 م) انحبست الامطار فانعدمت مياهها فكان ذلك سببا في جفاف العيون والينابيع (3) .

كان لخصوبة ارض الجزيرة الفراتية والتي اشتهرت بها دور كبير في تنوع ما يزرع فيها من الحبوب التي تعد من المنتجات المهمة التي تنتجها ارض الجزيرة بوفرة ، فلسعة المساحات التي تشغلها ولعدم توفر وسائل ري حديثة ومتطورة لتعمل على نقل احتياجات هذه المحاصيل

(1) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 204 .

(2) مجهول : تاريخ الرهاوي مجهول ، عربه عن السريانية ووضع حواشيه : البير ابونا ، مطبعة شفيق ، (بغداد : 1986 م) 2 / 29 .

(3) السرياني ، ميخائيل : تاريخ مار ميخائيل الكبير ، تعريب : مارغريغوريوس صليبا شمعون ، ط 1 ، دار ماردين ، (حلب : 1996 م) 3 / 252 .

من المياه والتي كانت غالبا ما تتزود من مياه الانهار جعلها تعتمد وبنسبة كبيرة على مياه الامطار والتي تحكمت وبنسبة كبيرة في تحديد مواسم زراعتها وتحكمت كذلك في جودتها ، اذ متى ما حصلت هذه المحاصيل على متطلباتها من المياه كانت منتجاتها ذات جودة عالية ومتى ما شحت مياه الامطار ولم تفي بمتطلبات هذه المحاصيل ضعف انتاجها وجودته ، وكذلك ينعدم في اغلب الاحيان ، اذ شهدت سنة (571 هـ / 1176 م) شحة فتلفت الغلال وتفشت المجاعة فيما بين النهرين [1] .

وشهدت سنة (619 هـ / 1223 م) نقص في القمح والغلاء من بابل حتى نهر الفرات في حدود حلب ، فكان الناس يزرعون فينمو بعض الزرع قليلا ثم ييبس لاحتباس المطر [2] كما احتبس المطر سنة (701 هـ / 1302 م) فأصبح البر غاليا في الارض كلها فنقص القمح والعلف حتى صار مكيال الحنطة باثني عشر درهما واستمر نقص القمح طيلة تلك السنة [3] .

2 – ارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها :

يتعرض مناخ الجزيرة الفراتية والموصل لتقلبات كثيرة في درجات الحرارة ، وذلك للفرق الكبير الذي تشهده درجات الحرارة بين الصيف والشتاء ، اذ يشهد الصيف ارتفاعا كبيرا في درجات الحرارة لاسيما في الاقسام الجنوبية من الجزيرة الفراتية ، في حين ان درجات الحرارة تنخفض وبدرجة كبيرة لعدد كبير من ايام فصل الشتاء ، وهذا الفارق الكبير في درجات الحرارة ما بين الشتاء والصيف يسبب حدوث العديد من الكوارث الطبيعية والتي ينتج عنها العديد من الازمات والمجاعات ، وهو ما سنبين اثره على النشاط الزراعي لمنطقة الجزيرة الفراتية والموصل التي اشتهرت بنشاطها الزراعي الذي يعمل به غالبية سكانها .

ينتج عن انخفاض درجات الحرارة في فصل الشتاء الى ما دون الصفر المئوي لاسيما في الاقسام الشمالية من الجزيرة الفراتية حدوث انجماد فيغطي اجزاء واسعة من هذا القسم ليشمل المسطحات المائية فيها والغالب عليها الانهار محدثا بذلك تهديدا حقيقيا لأشكال الحياة النباتية

(1) السرياني : تاريخه ، 3 / 336 .
(2) مجهول : تاريخ الرهاوي ، 2 / 253 .
(3) مجهول : تاريخ الرهاوي ، 2 / 242 .

منها أو الحيوانية او البشرية لقيامه بعرقلة الأنشطة المختلفة ، اذ شهدت سنة (131 هـ / 749 م) حدوث انجماد قاسي في الاقسام الشمالية من الجزيرة حتى ان الانهار الكبيرة جمدت وصار من الممكن العبور عليها ، لقوة الانجماد وصلابته ، فماتت الاسماك وتجمعت اكداسها على الشواطئ [1] .

وفي سنة (133 هـ / 751 م) حل بالأرض شتاء قارص فهلكت المواشي والحيوانات والطيور ويبست اشجار الزيتون والكروم ، ومن شدة البرودة وقوة الانجماد تجمدت الانهار حتى راح الدواب والبشر يعبرون فوق مياهها المتجمدة ، ودجلة من بين الانهار التي جمدت حتى ان قافلة من الجمال عبرت فوقه ولم يتأثر تحت ارجلها [2] .

واكد التلمحري ذلك بقوله : " شهدت سنة (134 هـ / 751 م) تجمد نهر دجلة حتى قيل ان قافلة من الجمال عبرت فوقه ولم يتأثر تحت ارجلها لقوة وصلابة الانجماد " [3] ، وهذا دليل على التباين والاختلاف الكبير في درجات الحرارة في فصل الشتاء ، وان مناخ الجزيرة لا يخلو من تقلبات مفاجئة لا تخلو من الآثار المدمرة فينعكس ذلك على نشاطات سكان الجزيرة.

وفي سنة (135 هـ / 752 م) اشتد البرد فكثرت الثلوج والجليد للانخفاض الشديد في درجات الحرارة ، فيبست اشجار الزيتون والكروم في سائر انحاء ما بين النهرين [4] ، وذلك نتيجة انخفاض درجات الحرارة ، مما ادى الى خسائر فادحة في اشجار اهم منتوجين اشتهرت ارض الجزيرة الفراتية بإنتاجهما وهما : الزيتون والكروم الذين يدخلان في صناعة العديد من الأطعمة والأشربة لسكان الجزيرة ، فذلك كله يضيق على الناس معيشتهم ويوجد ازمات يصعب ايجاد الحلول لها .

بينما شهدت سنة (154 – 155 هـ / 771 – 772 م) ارتفاعا شديدا في درجات الحرارة لاسيما في المنطقة الوسطى والجنوبية للجزيرة ، وبسبب ذلك كان الراعي اذا خرج

---

(1) السرياني : تاريخه ، 2 / 401 .
(2) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 101 .
(3) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 7 .
(4) السرياني : تاريخه ، 2 / 351 .

بحيواناته للرعي لا تجد ما تأكله ، لأنه لا يوجد الا الغبار ولا حتى اوراق الشجر لان الحر حول النباتات الى هشيم متطاير [1] .

وشهدت سنة (158 هـ / 747 م) برد شديد وقاس لن يرى مثله في ايامنا وسقط الثلج على الكروم ودام اياما فاستأجر اصحابها عمالا لجنيها ، الا انهم لم يتمكنوا من قطفها إذ باغتهم الانخفاض الشديد في درجات الحرارة فسقطت العناقيد لاستمرار الانخفاض اياما [2] ، ان انخفاض درجة الحرارة في موسم جني محصول الكروم والذي يتم جنيه في شهر تشرين الاول يدل على ان شتاء هذه السنة جاء مبكرا مع انخفاض كبير في درجة حرارته وما الحقه ذلك بالمزارعين من خسائر كبيرة و فادحة تمثلت في عدم تمكنه من جني محصول هذه السنة من اعناب الكروم والتي تعد من المحاصيل الاكثر انتشارا واهمية بالنسبة لسكان الجزيرة الفراتية لاسيما السريان منهم لاعتباره مشروبا مقدسا عندهم .

وحل في شتاء (159 هـ / 775 م) برد شديد وقارص فكان الجليد فيه كبيرا مختلف الاشكال ، حافاته حادة مبالغ فيها ، وقسم من قطعه لها حدين أو وثلاثة أو اربعة ، كما ان اشجار الكروم تكسرت وخربت المزروعات وتزعزعت سقوف جميع بيوت القرميد وتكسرت [3] .وشهدت سنة (227 هـ / 842 م) شتاء شديد البرودة كله صقيع فلم تنبت البذور واحتبس المطر فيها [4] ، ان بذور الزروع بشكل عام تحتاج الى ظروف مناخية ملائمة لإنباتها ، الا ان هذه الظروف انعدمت في هذه السنة لسيادة الانجماد الذي ادى الى اعاقة فعاليات نموها في التربة لتعرضها للانجماد ، فمنع ذلك انبات البذور فضلا عن شحة مياه الامطار هذه السنة التي تعد من مشاريع الري الأوسع انتشاراً في الجزيرة الفراتية لسقي مساحات واسعة من المزروعات .

وفي سنة (514 هـ / 1121 م) انخفضت درجة الحرارة انخفاضا كبيرا في شتاء هذه السنة واستمر الانخفاض لمدة اربعين يوما فجمدت مياه نهر الفرات وغيره من الانهار حتى

---

(1) التلمحري : تاريخ الأزمان ، 210 .

(2) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 217 .

(3) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 193 .

(4) سيغال : الرها المدينة المباركة ، ترجمة : يوسف ابراهيم جبرا ، ط 1 ، دار الرها ، (حلب : 1988 م) 251 – 252 .

امكن الاجتياز عليها كاليابسة [1] ، فكون لطول مدة انخفاض درجات الحرارة الى ما دون الصفر والتي استغرقت لمدة شهر وعشرة ايام كافية لتجميد مياه نهر الفرات ، فاثر ذلك على الاحوال المعيشية العامة للناس تأثيرا سلبيا لكون الانهار تمثل عصب الحياة للأنشطة الحياتية بصورة عامة .

وفي سنة (567 هـ / 1172 م) انخفضت درجات الحرارة فيما بين النهرين انخفاضا شديدا وصاحب ذلك تساقط الثلوج فتلف نتيجة لذلك الكروم والزيتون ، واسود القطن والسمسم وكأن نارا اجتاحته [2] ، ان مثل هذه المحاصيل تحتاج الى درجات حرارة معتدلة لتنمو وتنضج فاذا ما انخفضت درجات الحرارة انخفاضا كبيرا فان ذلك يعني خسارة منتوجات هذه المحاصيل التي تدخل في صناعات مهمة كصناعة الزيوت وغيرها .

وحصل نقص كبير في الحبوب سنة (633 هـ / 1235 م) فيما بين النهرين وجفت الاشجار والكروم من شدة البرد الذي حدث من شهر تشرين الثاني الى اكتمال القمر شهر شباط وبسبب ذلك جمدت مياه نهر الفرات ولم يسقط المطر على الزرع الجديد [3] ، يظهر ان برد الشتاء جاء مبكرا هذه السنة واستمر قرابة ثلاثة اشهر والمعروف ان هذه المدة تشهد تساقط امطار تسهم بصورة كبيرة في انبات حبوب المحاصيل ، الا ان مجيء البرد في هذه الفترة المبكرة قبل اوانه اضر بالتربة الحاضنة لهذه الحبوب ، فضلا عن انعدام سقوط الامطار لتوفير المياه الضرورية لإنبات حبوب المحاصيل والتي عادة ما تسقط في هذه الفترة من السنة . مما سبق يؤثر الاختلاف والفارق الكبير في درجات الحرارة في الصيف والشتاء وتباينه وعدم استقراره بين سنة واخرى في الزيادة عن المستويات المعروفة او النقصان عنها فينعكس ذلك سلبا على مجمل نشاطات الحياة ومنها النشاط الزراعي الذي اعتاد سكان الجزيرة ممارسته حسب اشهر السنة .

---

(1) السرياني : تاريخه ، 3 / 174 .

(2) السرياني : تاريخه ، 3 / 309 .

(3) ابن العبري : مخطوطة تاريخ الأزمنة ، ترجمة : شادية توفيق ، ط 1 ، المركز القومي للترجمة ، (القاهرة : 2007 م) 101 .

3 – التساقط وأشكاله :

للتساقط واشكاله كالأمطار والثلوج والبرد اثار ونتائج ايجابية فضلا عن اثارها ونتائجها السلبية على نشاطات الانسان الاقتصادية لاسيما النشاط الزراعي الذي يعد اقدم واوسع نشاط مارسه الانسان ، فضلا عن كونه يوفر المواد الأولية الضرورية للأنشطة الاخرى ، فعند تعرضه لأي نوع من انواع التساقط بما يزيد عن حاجته له لا سيما في وقت انباته او عند حصاده فان ذلك يلحق به اضرار وخسائر كبيرة في المحاصيل ، فيخلق ذلك ازمات وضيقات بالناس تتمثل بقلة منتجات المحاصيل ويزامنها زيادة في الطلب عليها من قبل الناس فيعم الغلاء والمجاعات .

شهدت مدينة آمد سنة (125 هـ / 743 م) سقوط كميات كبيرة من الثلوج عليها ولأيام عديدة مما ادى الى هلاك اغلب الحيوانات والطيور لشدة الجوع والزروع التي سقطت عليها الثلوج وتعفنت ويبست ، وتكسرت أشجار الكروم فأصيبت المدينة جراء ذلك بخسائر فادحة [1] ، وعندما تطول فترة تساقط الثلوج فان ذلك نذير لأزمة كبيرة قادمة لأنها ستتراكم فوق الزروع والاشجار فتتوقف بذلك اشكال الحياة ، ففي سنة (133 هـ /751 م) حل بالأرض شتاء قارص وتلاه اثنان اخران ، اذ تساقط الثلج في ثلاثتهم فهلكت بذلك المواشي والحيوانات الاخرى والطيور من شدة البرد وتراكم الثلوج فوق الارض خمسة اشبار ودام على وجه التراب تسعين يوما ، وفي السهول سبعين يوما ، حتى كاد كل ذي جسد ان يفنى [2] ، مما سبق يبدو ان تساقط الثلوج استمر لثلاث سنوات متتالية ، اذ غطت الثلوج مساحات واسعة من سطح الارض مسببة بذلك ضيق وأزمات لأنها منعت الناس من ممارسة انشطتهم التي اعتادوا عليها، وكان سقوط البرد على الزروع هو الاخر يلحق اضرارا جسيمة ومدمرة بالأشجار والمحاصيل لاسيما عند اقتراب موسم جني المحصول ، اذ تعرضت قرية طرمل القريبة من مدينة دارا [3] الى سقوط برد اشبه بالحجارة اصاب كرومها وتينها وحطم الاشجار

(1) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 88 .

(2) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 101 .

(3) مدينة دارا : مدينة صغيرة نزهة تقع على سفح جبل بين نصيبين وماردين ، تشتمل على مياه جارية وأشجار وزروع ولها مباخس في سطح جبل ، ينظر : الإصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي : المسالك والممالك ، دار صادر ، (بيروت : 2004 م) 73 .

التي على الحدود وقضى على كل الاعشاب الخضراء التي في حقولهم وحول محاصيلهم الى رماد [1] .

يعمل الناس على جمع مؤنتهم تحسبا لقدوم الشتاء لان الزروع والاشجار تكون قد جمعت منتوجاتها قبل مجيء الشتاء ، وفي بعض السنوات يضطرون ان يشركوا حيواناتهم في ما جمعوه من مؤونة في الصيف لأن الشتاء في هذه السنين يطول فتنعدم بذلك المراعي فيضطروا الى اشراك حيواناتهم معهم في قوتهم ، كما حدث سنة (134 – 135 هـ / 751 – 752 م) ، اذ شهدت سقوط ثلج كثيف تراكم على الارض وبسبب ذلك استنفذ اصحاب الدواب خزين القمح المعد لتغذية دوابهم فلجأوا الى اخذ القمح المعد لغذائهم واعطوه للحيوانات لإنقاذها من الموت جوعا [2] .

كما شهدت بلاد الجزيرة سنة (152 هـ / 769 م) سقوط برد لم يرى له مثيل ، فكان سميكا ذا اشكال مختلفة ، اذ كانت له زاويتان او ثلاث زوايا او اربع ، حادة كالسيف ، فكسر الاشجار والكروم واقتلع المزروعات فسبب اضرارا كثيرا بسبب الزوابع العظيمة التي هبت في الوقت نفسه [3] .

وفي سنة (154 هـ / 770 م) هطل ثلج كثير غطى وجه الارض اياما ، فصارت شدة عظيمة وقاسية على الناس والحيوانات ، اذ هلكت اغلبها [4] ، فهذا يدل على ان الثلج بقى على وجه الارض لمدة طويلة لان الناس استنفذوا مؤونتهم ولا يوجد ما يسدون به احتياجاتهم الضرورية من الأغذية لسيادة الثلج على سطح الارض ، فمر الناس بجوع قاسي فهلك الناس وحيواناتهم على حد سواء .

وشهدت سنة (214 هـ / 830 م) سقوط برد وبكثرة في الجزيرة فأتى على الزروع والكروم والاشجار كافة ودمرها فمر الناس بضيق وغلاء [5] ، وفي سنة (535 هـ /1141 م) سقط

(1) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 43 .
(2) التلمحري : تاريخ الأزمان ، 95 .
(3) التلمحري : تاريخ الأزمان ، 212 .
(4) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 125 .
(5) السرياني : تاريخه ، 3 / 43 .

على حصن زياد [1] برد رهيب حطم الاشجار والكروم [2] ، وبذلك يكون التساقط واشكاله قد الحق اضرارا جسيمة في الزراعة بشكل عام وسبب ضيق وشدائد للناس .

4 - الرياح والعواصف :

تعد الرياح والعواصف احدى عوامل الطقس التي تلحق اضرارا جسيمة بالزروع والمحاصيل ولاسيما رياح السموم التي تهب في فصل الصيف والتي توصف بارتفاع درجة حرارتها ارتفاعا يعمل على جفاف المحاصيل والتي غالبا ما تكون محملة بالأتربة التي تتراكم علـى النبـاتات فتمـرض النبـاتات نتيجـة لـذلك ، اذ شهدت الجزيرة الفراتية سنة (133 هـ /751 م) هبوب رياح السموم المحملة بالأتربة ذات اللون الاحمر القاني ، اذ كان الداء الذي اصابها احمر اللون [3] .

وعليه فإن الرياح تحمل صفات وخصائص الجهات القادمة منها ، من جانب اخر انها سوف تختلف من سنة لأخرى ، كذلك فهي تختلف في سرعتها والتي تتباين بين سنة واخرى ، ففي بعض السنوات تتحول سرعتها الى عواصف شديدة لا يقتصر تأثيرها على المحاصيل الزراعية بل يتعدى تأثيرها الى الانسان الحيوان على حد سواء ، ففي سنة (142 هـ/ 759 م) هبت ريح عاصف لم يسبق ان حدث مثلها ، اذ اهلكت اناس كثيرون وماشية وبهائم وطيور وابادتها ، كما انها حملت اتربة يبست الزروع على اثرها فنتج عن ذلك الغلاء والمجاعة في ارض الجزيرة الفراتية [4] .

ولا يقتصر هبوب الرياح وما تحمله من خصائص وصفات لفصل معين او انها تقتصر على هذا الفصل كفصل الصيف فان ذلك من غير الممكن اذ ان احوال الطقس تتأثر بسمات المناخ ، والمعروف عن مناخ الجزيرة الفراتية انه شديد التطرف في بعض السنوات ،

---

(1) حصن زياد : وهو بين آمد وملطية وهو الى ملطية أقرب ، ينظر : الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله : معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت : 1989 م) 2 / 264 .

(2) السرياني : تاريخه ، 3 / 223 .

(3) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 102 .

(4) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 193 .

كما حدث في سنة (152 هـ/ 769 م) اذ هبت ريح من الجنوب الشرقي ثلاثة ايام وثلاث ليالي مع سقوط ثلج كثير هلك فيه اناس كثيرون وبهائم لا يحصى عددها [1] .

ان الرياح الشمالية التي تهب على منطقة الجزيرة في فصل الشتاء تكون باردة وجافة ، وهي بذلك تصبح مهلكة كل انواع المزروعات لجفافها وشدة برودتها فيصعب على النباتات تحملها ، ففي سنة (207 هـ / 823 م) وفي اواخر شهر كانون الثاني هبت رياح شمالية استمرت ثمانية ايام ، ولطول مدتها التي استغرقت اسبوع احرقت كل شيء كنار ونتيجة لذلك لم يجن اي من الغلال والبقول والكروم والاشجار الاخرى في تلك السنة ، لاسيما في ما بين النهرين [2] .

5 – المجاعة :

تعد المجاعة احدى الكوارث الطبيعية التي تحدث في اقليم مناخي معين ولفترة زمنية محددة ، وبقدر تعلق الامر بالظروف المناخية والتي من ابرزها الامطار لأنها تسقي مساحات كبيرة واسعة من الأراضي التي تعتمد على مياه الامطار بالدرجة الاولى لإروائها وان قلتها وانعدامها يسببان قلة الغذاء وانعدامه للإنسان والحيوان على حد سواء ، ويظهر ذلك جليا في المجاعات التي تحصل في اقليم معين ولفترة زمنية محددة ، فضلا عن الاجراءات التي تتخذها السلطات الحاكمة في الاقليم الذي يتعرض لمثل هكذا ازمات ، والمصادر السريانية تطرقت الى العديد من المجاعات التي حدثت في الموصل والجزيرة ، اذ شهدت سنة (125 هـ / 742 م) تعرض أرض الجزيرة الفراتية لمجاعة كبيرة حتى ان الاغنياء تساووا مع الفقراء في المجاعة ، اذ انعدم سقوط الامطار فضلا عن مصادرة الحكام عن طريق رجالهم للقمح والاستيلاء عليه اينما وجدوه [3] .

وكان من بين الأسباب التي ادت الى حدوث مجاعات في الموصل والجزيرة الفراتية تشدد الولاة عليها في كثرة الضرائب وتنوعها واستحداث ضرائب جديدة والزيادة في كميتها ويجب على الناس ان يدفعوها بالمعدنين الذهب والفضة حتى قلت او تكاد تنعدم في بعض

---

(1) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 125 ؛ الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 218 .

(2) السرياني : تاريخه ، 2 / 446 .

(3) التلمحري : تاريخ الأزمان ، 55 .

الاحيان وكذلك تقييده لحركتهم وذلك بوشمهم ووضع الاختام في اعناقهم ليميز كل منطقة او مدينة عن غيرها من سكان المدن والمناطق الأخرى ، فنتج عن ذلك غلاء وجوع سيما في الموصل ، ففي سنة (146 هـ / 763 م) حدث جوع عظيم في الموصل والجزيرة لسوء سياسة والي الموصل والجزيرة موسى بن مصعب ، فمات من جراء ذلك في تلك الايام عدد كبير من الناس كالجراد وأمسوا مطروحين في الأسواق وليس هناك من يدفنهم [1] .

وجرى ذات الامر على الموصل ، اذ شهدت سنة (450 هـ / 1058 م) غلاء ومجاعة شديدة حتى اكل الغز [2] خيلهم وبغالهم نتيجة محاصرة المعديون [3] للمدينة لتحصن قائد الغـز إينالغ [4] فيها [5] ، وقبل ذلك كانت مدينة الموصل قد شهدت سنة (429 / 1044) مجاعة ووباء وغلاء ، اذ شكل ذلك لحمة الحياة وسداها في بغداد والموصل [6] .

---

(1) حبي ، يوسف : تواريخ سريانية من القرن 7 – 9 ، نقل وتحقيق : يوسف حبي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، اللغة السريانية ، (بغداد : 1982 م) 220 .

(2) الغز : وهم من طوائف الترك والشعب الذي منهم السلاجقة ، ينظر : ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد : تاريخ ابن خلدون ، تحقيق : خليل شحادة ، ط 2 ، دار الفكر ، (بيروت : 1988 م) 4 / 413 .

(3) المعديون : وهم بطن من الصبحيين من بني زريق ، من ثعلبة من طي من القحطانية ، كانت مساكنهم مع قومهم بني ثعلبة بأطراف مصر مما يلي الشام ، ينظر : كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط 1 ، (بيروت : 1994 م) 3 / 1122 .

(4) هكذا ورد الاسم عند ابن العبري ، والمعروف انه إينالغ : وهو مندوب طغرل بك في جيش السلاجقة ضد البساسيري ، ينظر : الجلبي ، بسام ادريس ، حوليات الموصل منذ الفتح الاسلامي سنة 16 هـ / 637 م حتى نهاية القرن التاسع عشر سنة 1900 م / 1318 هـ ، ط 1 ، دار الجيل ، (الموصل : 2013 م) 1 / 282 .

(5) ابن العبري : تاريخ الزمان ،نقله الى العربية : اسحق ارملة ، دار المشرق ،(بيروت : 1999 م) 103 .

(6) فييه ، جان موريس : أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ط 1 ، دار المشرق ، (بيروت : 1990 م) 279 .

وبسبب هذا كله شهدت مناطق مختلفة من اراضي الجزيرة الفراتية هجرة اهلها وسكانها الى المدن للمجاعة التي اصابتهم فباعوا كل خيراتهم وأكلوا لحما ومواد لبنية طيلة الصوم ، وفي مناطق عديدة اشتدت المجاعة بسبب كثرة الاجانب لدرجة انهم تعرضوا لجثث الموتى (1) .

ولأن الامطار تعد المغذي الرئيس لمصادر الري التي تعتمد عليها الاراضي الزراعية لسقي محاصيلها ، فحدث في العام نفسه ان جفت العيون والينابيع التي تعد من مصادر الري المهمة في منطقة الجزيرة بسبب قلة الامطار ، فتعرضت منطقة الجزيرة نتيجة لذلك الى مجاعة قاسية (2) .

ليست الظروف المناخية وحدها هي التي تتحكم في حدوث المجاعة ، بل ان للإجراءات والسياسات الاقتصادية التي يتبعها الولاة في ادارة الاقاليم ومنها اقليم الجزيرة كان له دور فيما حدث في الجزيرة والموصل من مجاعات ، ففي سنة (151 هـ / 769 م) حدثت مجاعة وانتشرت الامراض في اقليم الموصل والجزيرة في عهد موسى بن مصعب (3) .

والمصادر السريانية اسهبت في تفصيلها للآثار الاقتصادية المرتبطة بالمجاعات تمثلت في استخدامها ضرائب جديدة تضاف الى الضرائب القديمة كالخراج والجزية والتي تثقل من كاهل سكان الجزيرة الفراتية ، فاستنزفت ما بحوزة الناس من نقود سيما وانها كانت تجمع الذهب والفضة مما زاد من ندرة هذين المعدنين وبالتالي صعوبة الحصول عليهما فأثر كل ذلك على الأحوال المعيشية للناس ، كما وان مثل هكذا أحداث تؤثر سلبا على الاراضي الزراعية في الريف وذلك بهجر الفلاحين لها لأنها لا تسد ما يبذله الفلاح من جهد ومصاريف أخرى

---

(1) التلمحري : تاريخ الأزمان ، 231 .

(2) أغناطيوس بن قسطنطين المنبجي : المنتخب من تاريخ المنبجي ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار المنصور ، (طرابلس : 1986 م) 94 .

(3) الباسبريني ، منصور بن مرزوق : حوليات الراهب القرطميني ، تعريب بنيامين حداد ، دار المشرق الثقافية ، (دهوك : 2012 م) 69 ؛ موسى بن مصعب : هو موسى بن مصعب بن ربيع الخثعمي ، ولاه الخليفة أبا جعفر المنصور سنين بقين من ايامه حتى توفي واقره المهدي عليها ، ينظر : ابن تغري بردي ، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، (مصر : د . ت) 2 / 54 .

لزراعتها فيؤدي ذلك الى تحولها الى اراضي جرداء قاحلة وبالتالي الى قلة المحاصيل المعيشية الرئيسة وندرتها والتي يعتمد الناس عليها في سد متطلباتهم الغذائية ، فضلا عن توقف اي نشاط تجاري داخلي أو خارجي في الجزيرة الفراتية والموصل ، فهذا كله ادى الى نتيجة حتمية الا وهي المجاعة ، اذ شهدت سنة (155 هـ / 772 م) انتشار جوع شديد في بلاد الموصل والجزيرة وآثور (1) لا لنقص الحنطة فحسب بل لخلو ايدي الناس من الدراهم (2).

ان التصرفات المشينة لسكان بعض المناطق سيما فيما يتعلق بالتعاليم الدينية المقدسة التي تحرم وتجرم كل ما يقوم بالتعدي والتجاوز عليها باعتبارها مقدسات يحرم على عامة الناس القيام بها بالرغم من العبر والدروس التي أصابت أقوام قبلهم ارتكبوا مثل هكذا تجاوزات وعاقبهم الله عليها الا انهم لم يعتبروا ، فارتكبوا الزنا الذي امرهم الله بالابتعاد عنه فعاقبهم الله بالمجاعة ، فهذا ما حدث لسكان مركا (3) الذين ركب بعضهم مركب الفساد والدنس في أمكنة مختلفة من هذه البلاد (4) .

كان للهجرات التي تحدث من وقت لآخر ومن منطقة الى أخرى أثرها في احداث خلل في التوزيع المناطقي للسكان مما يؤثر سلبا على كلا المنطقتين فتصبح المناطق التي هجرها أهلها مناطق مهجورة تكاد تنعدم فيها الحياة لافتقادها الى فعاليات وأنشطة اهلها التي كانت سببا للحياة فيها لأن قيام الناس بأعمالهم اليومية فيها هي من اجل الوفاء بالتزاماتهم الحياتية ، اما المناطق المهاجر اليها تصاب سبل الحياة فيها بنوع من الشلل وذلك لازدياد اعداد السكان زيادة تزيد عن امكانياتها وقدراتها الاقتصادية وثرواتها الطبيعية ، فنتيجة ذلك تتعرض هذه الى الاستغلال الجائر لقدراتها وامكانياتها ، هذا فضلا عن حدوث منازعات وخلافات بين سكان

(1) آثور : هو الاسم القديم للموصل قبل تسميتها بالموصل ، وقيل أقور بالقاف الاسم الذي يشمل كورة الجزيرة بأسرها ، ينظر : الحموي : معجم البلدان ، 1 / 92 .

(2) ابن العبري : تاريخ الزمان ، 10 .

(3) وردت في معجم البلدان باسم مرج الموصل ويعرف بمرج أبي عبيدة ، ينظر : الحموي : معجم البلدان ، 8 / 16 .

(4) توما المرجي : كتاب الرؤساء ، عربه ووضع حواشيه : البير ابونا ، المطبعة العصرية ، (الموصل : 1966 م) 139 .

هذه المناطق والمهاجرين اليها حول أراضيها ومواردها الطبيعية الأخرى فتعاني مثل هذه المناطق من شح ونقص في تلك الموارد ، ففي سنة (157 هـ / 733 م) اصيبت الموصل بالمجاعة وذلك لاجتماع اعداد غفيرة من السكان هم وحيواناتهم حتى انه لم يبقى شيء ترعاه حيواناتهم فاشتد الازدحام في الموصل ونواحيها مما أدى الى قلة خيراتها فساد الجوع فيها [(1)] .

وفي العام نفسه ظهر في بلاد ما بين النهرين عدد كبير من المتسولين سيما من الذين قدموا الى هذه البلاد كمهاجرين ، وسبب ذلك هو ما اصاب هذه المنطقة من ضيق وجوع شديد نتيجة لكثرة اعدادهم واعداد حيواناتهم ، فضاقت البلاد بهم ولازدياد اعدادهم امتنع الناس عن العطاء خوفا من الأيام المقبلة لئلا تسوء حالتهم فضلا عن اجراءات جامعي الضرائب الذين زادوا من صعوبة الامر ، وذلك عندما قاموا بجمع ما مفروض على السكان من ضرائب عن المحاصيل دون اعفائهم منها في مثل هكذا ظروف فنقص الطعام بذلك لدى الناس ، فحصلت مجاعة كبيرة فبادت كل المواشي في تلك المناطق كما ان الخبز اختفى من السوق حتى انهم شرعوا بالتفتيش على جثث البهائم الميتة للتغذي عليها [(2)] .

وكان للحملات العسكرية والحروب وخططها دورها لما تعرضت له بعض مدن الجزيرة الفراتية من غلاء ومجاعات ، اذ كانت تعتمد مثل هذه الحملات وخططها على محاصرة المدن من جميع النواحي لمنع وصول المؤن والامدادات الى سكانها والتي قد تستمر لأشهر ولسنين لإجبار أهلها على الاستسلام ، فتبدأ المؤن لديهم بالتناقص شيئا فشيئا حتى تشح كما ترتفع لديهم اسعار المواد الغذائية وذلك لقلتها فيعانون من الغلاء حتى تنفذ لديهم مؤونتهم ونتيجة لكل ذلك تظهر عندهم المجاعة ، ففي سنة (351 هـ / 964 م) انتشر الغلاء في حران والرها على اثر زحف شومشكين [(3)] دمسقا الى المصيصة [(1)] فحاصرها سبعة ايام وأحرق ما حولها [(2)] .

---

(1) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 229 .

(2) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 179 .

(3) هكذا ورد عند ابن العبري والمعروف أنه سعد الدين كمشتكين : وهو والي الموصل مع سيف الدين غازي من قبل نور الدين زنكي وكان ذلك سنة (566 هـ / 1170 م) ، ينظر : ابن الأثير ، عز الدين أبو

ومدينـة حـصن كيفا [3] هي الاخـرى نالت نصيبها من الضيق والمجـاعات ، ففي سنـة (459 هـ / 1066 م) ظهرت فيها مجاعة وغلاء ونقص في كل انواع الطعام ، بسبب حدوث كوارث وحروب وحوادث مخيفة [4] .

ويبدو ان موقع مدينة ملطية [5] الاستراتيجي العسكري جعلها محل نزاع وصراع بين القوى الطامحة لفرض سلطتها وهيبتها ، فنتيجة لذلك شهدت هجمات وضيقات عدة ولفترات عديدة ، اذ حاصرها سنة (518 هـ / 1125 م) غازي بن دانشمند [6] وشدد عليها فتضايق الناس من شدة الجوع ، فنفذ الطعام كليا ، فصاروا يأكلون أوراق الأشجار وقشور الخشب الرطب ، وحتى القطط والحمير تؤكل اينما وجدت حية أم ميتة من شدة الجوع ، كما اضطر الناس ان يشربوا الدماء ويأكلون الجلود الغير مدبوغة وحتى جلود الدروع وغيرها [7] .

الحسن بن أبي الكرم : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تح : عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، (القاهرة : 1963 م) 154 ؛ ابن العديم ، كمال الدين أبو القاسم محمد بن أحمد بن هبة الله : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 1996 م) 1 / 360 .

(1) المصيصة : مدينة بأرض الروم على ساحل جيحان وهي ايضا ثغر من ثغور الاسلام ، ينظر : القزويني ، زكريا بن محمد (680 هـ / 1281 م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، (بيروت : 1960 م) 1 / 564 .

(2) ابن العبري : تاريخ الزمان ، 63 .

(3) حصن كيفا : وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، ينظر : ابن عبد الحق : البغدادي ، عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي (739 هـ / 1338 م) : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط1، دار الجيل ، (بيروت : 2004 م) 1 / 407 .

(4) ابن العبري : الازمنة ، 248 .

(5) ملطية : وهي من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام ، ينظر : اليعقوبي ، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب : البلدان ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 2001 م) 1 / 205 .

(6) غازي بن دانشمند : وهو مؤسس إمارة دانشمند بعد التقدم التركي الى الأناضول الذي تلا معركة ملاذ كرد ، وسيطرت سلالته على المناطق الشمالية والوسطى في الأناضول ، ينظر :
www.ar.m.wikipedia.org.

(7) السرياني : تاريخه ، 3 / 336 .

وشهدت سنة (551 هـ / 1157 م) حصار اخر بقيادة علي بهادر[1] الذي حاصرها لأيام عدة ، فاشتد الغلاء لكنه تمكن من دخولها فيما بعد فنكل بحكام المدينة واشتد الجوع حتى بلغ الامر بأهلها الى ان يأكلوا الكلاب والسنانير [2] وينقعون الجلود اليابسة التي فيها لدم النعال وبلغ الامر بالناس اشد من ذلك اذ وجدت نساء في بلدة جوباس من اعمال ملطية مجتمعات في بيت وامامهن ميت ممد وبأيديهن سكاكين وهن يشرحن لحمه ويشوينه [3] .

وفي سنة (154 هـ / 770 م) وقع في بلاد الشام وما بين النهرين والموصل وبابل أمراض وأوبئة فتكت بسكانها نتج عنها حدوث مجاعات مات على اثرها الكثير من سكان هذه المناطق [4] .

ان من العوامل الرئيسة التي رشحت وزادت من عدد الذين يصابون بالأمراض والأوبئة هو قلة الاهتمام بالنظافة وقلة الوعي بمدى خطورة هذه الامراض سهل من انتشار مثل هذه الامراض المعدية ووسع من رقعة انتشارها ، ففي سنة (157 هـ / 773 م) تفشى وباء مرض الرأس بين اهل الموصل وعرف هذا المرض بشدته اذ ان المصابون به كانوا يسقطون حالا ويموتون ولا يسعفهم احد لان المريض يكون قد فارق الحياة حال اصابته بالمرض [5] .

ان اغلب الفئات السنية التي كانت عرضة للأمراض والاوبئة هم الاطفال لضعف مناعتهم ولا يحصلون على القدر الكافي من العناية الطبية لحمايتهم من الامراض ، فضلا عن قلة

---

(1) علي بهادر : وهو من زعماء التركمان الملتحقين بجيوش المغول ، ينظر : ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق : مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تح : محمد الكاظم ، ط 1 ، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، (ايران : 1995 م) 2 / 570 .

(2) السنانير : جمع سنور وهو حيوان يقوم بأكل الفأر ، له أسماء عدة كالهر ، القط الخيدع ، ينظر : الدميري ، كمال الدين : حياة الحيوان الكبرى ، ط 2 ، دار المعرفة ، (بيروت : 2010 م) 3 / 55 – 58 .

(3) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 1985 م) 234 .

(4) برشنايا ، إيليا : تاريخ إيليا برشينايا ، ترجمة : يوسف حبي ، مطبوعات مجمع اللغة السريانية ، (بغداد : 1975 م) 167 .

(5) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 231 .

الاهتمام بالنظافة ، ففي سنة (409 هـ / 1018 م) مات في الموصل من جراء الاصابة بداء الجرب اربعة الاف صبي [1] .

كما تعرضت ملطية وضواحيها [2] سنة (641 هـ / 1244 م) [3] الى مجاعة كبيرة وامراض ، فملئت الارض بالمساكين الذين يموتون كالحيوانات في الأسواق ، ولم يقتصر الامر على ملطيـة والمـدن التي ذكرت قبلها ، اذ كان لميا فارقين [4] نصيبها من المجاعة ، ففي سنة (658 هـ / 1259 م) حدثت مجاعة فيها بعد استيلاء المغول عليها فلم يسمع بمجاعة مثل التي تعرضت لها ميا فارقين اذ هلك كل شعبها ولم يبقى سوى مائة نفس .

ثانيا : مجموعة العوامل الأرضية :

1 – الفيضانات :

تعد الفيضانات احدى الكوارث الطبيعية الاكثر تدميرا للأراضي الزراعية لما تخلفه من خراب على مساحات واسعة من الأراضـي ، مما يجعلها غير صالحة للزراعة مسببة بذلك خسائر مادية كبيرة على الفلاحين ، ولو بدأنا بذكر ما تعرضت له الجزيرة الفراتية والموصل من فيضانات ، وكانت الثلوج التي تعد من مصادر المياه التي تزود الانهار بها عند ذوبانها احدى أسباب الفيضانات كونها تعمل على زيادة منسوب المياه زيادة يعجز مجرى النهر على استيعابها فينتج عن ذلك فيضان عظيم يدمر ويجرف كل ما يصادفه في طريقه ، وقد حدث سنة (125 هـ / 743 م) ، فيضان عظيم لنهر دجلة خرب كثيرا من القرى والمدن ، ولشدة قوة الفيضان انكسر الجسر الكبير عند مدينة آمد [5] .

ومن الجدير بالذكر هنا ان عمليات المد التي تحدث في معظم انهار الجزيرة الفراتية كانت تعمل على ارتفاع مناسيب المياه في الانهار ، فينتج عن ذلك فيضانات ، فدجلة والفرات

(1) ابن العبري : تاريخ الزمان ، 85 .

(2) ابن العبري : الازمنة ، 111 .

(3) التلمحري : تاريخ الأزمان ، 107 .

(4) ميا فارقين : وهي مدينة حولها سور ، تقع على الحد بين أرمينية وجزيرة الروم ، ينظر : مجهول : حدود العالم من المشرق المغرب ، تح : السيد يوسف الهادي ، الدار الثقافية ، القاهرة : 2002 م) 1 / 166 .

(5) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 88 ، آمد : مدينة حصينة من بلاد الجزيرة مبنية بالحجارة على نشز من الارض ، ينظر : القزويني : أثار البلاد وأخبار العباد ، 1 / 491 .

تعرضا لمد كبير يروى أنه أدى الى غرق مساحات واسعة من الأراضي ، كما أدى فيضان نهر الرها الى غرق المدينة وهدم أسوارها ، مما خلف كثير من الضحايا من البشر ، اضافة الى غرق كثير من الحيوانات [1] .

ومن المعروف هنا ان فيضانات نهر دجلة لا تستفيد المحاصيل الزراعية منه ، اذ يحدث في اواخر الربيع ومطلع الصيف ولا يفيد المحاصيل الشتوية والتي تكون في مرحلة النضج والقطاف ولا المحاصيل الصيفية التي تكون في مرحلة البذر وبداية النمو فضلا عن انها تعرض الانتاج الزراعي الى التلف والدمار عندما تأتي بشكل مفاجئ وبكميات كبيرة ، كما حدث سنة (144 – 145 هـ / 762 – 763 م) فيضان عظيم لنهر دجلة الذي خرب وأتلف كل ما كان على ضفافه اتلافا تاما ، كما دمرت المنازل وطواحين وقرى وأناس وحيوانات مع اشياء اخرى كثيرة [2] .

كان نصيب مدينة الموصل كبير من فيضانات نهر دجلة التي غالبا ما تحدث في فصل الربيع الذي يشهد غزارة الامطار على منابع النهر والمناطق الشمالية التي يجري فيها النهر ، فضلا عن شدة انحدار هذه المنطقة ، الامر الذي يؤدي الى ارتفاع مناسيب المياه محدثا بذلك فيضانات مدمرة سيما سنة (146 هـ / 763 م) فاض نهر دجلة فيضان عظيم ، خرب الحدود موقعا خسائر فادحة في مدينة الموصل ، ونتيجة لذلك دخلت المياه الى الاسواق وأهلكت ناس وبهائم كثيرة وجرفت العديد من البيوت القديمة وأغرقت البساتين والاراضي الزراعية الواطئة والمحاذية للنهر وجرفتها [3] .

وأكد التلمحري (ت 231 هـ / 845 م) ما أورده الزوقنيني (ت 159 هـ / 775 م) في تاريخه عن ما تعرضت له الموصل سنة (146 هـ / 764 م) من فيضان عظيم لنهر دجلة

(1) المنبجي : تاريخه ، 70 .

(2) التلمحري : تاريخ الأزمان ، 102 ؛ يوسف حبي : الموصل في المصادر السريانية ، مجلة سومر ، بغداد ، ع 34 ، ج 1 – 2 ، 1987 م ، 135 .

(3) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 232 .

الذي فاجئ المدينة في أول الليل ، ففاضت الأسواق ودمرت العديد من البيوت وأهلكت ناس وبهائم كثيرة فاحدث بذلك خسائر فادحة بمدينة الموصل [(1)] .

تعد الامطار الغزيرة السبب الرئيس للفيضانات المدمرة التي اصابت معظم اراضي ومدن الجزيرة الفراتية واي مدينة يصادفها الفيضان يصيبها الخراب والدمار ، اذ شهدت مدينة حران [(2)] سنة (225 هـ / 840 م) هطول أمطار غزيرة فنتج عنها فيضان خربها [(3)] .

تشكل الجبال اغلب تضاريس الاقسام الشمالية والشمالية الشرقية من الجزيرة الفراتية والتي تساهم بنسبة كبيرة في تشكيل الغيوم الكثيفة المعروفة بغزارة أمطارها التي تعمل على تزويد الانهار والوديان ورفع منسوب المياه فيها محدثتاً بذلك فيضانات كبيرة ومدمرة للمدن التي تكون اراضيها اوطأ من مجرى النهر مكونة بذلك سيول قوية جارفة لكل ما يصادفها ، كما حصل في مدينة حران سنة (228 هـ / 843 م) حين اصابته سيول جارفة جرفت معها حجارة ضخمة لغزارة الامطار التي سقطت على جبال المدينة فتحولت البقاع الى بحيرات ، فأصيبت حران بأضـرار جسيمة ، وامتلأت الدور والفنادق والحوانيت بالماء وسقطت البيوت على الناس وأغرقتهم [(4)] .

وأكد ميـخائيل الكبيـر (ت : 596 هـ / 1199 م) ما تعرضـت لـه مدينـة حران سنة (228 هـ / 843 م) من سيول جارفة قادمة من جداول جبالها وتكوينها نهرا عظيما اجتاح قرى المنطقة فامتلأت الدور والحوانيت بالماء وسقطت في بعض المناطق الدور على اهلها واغرقتهم ، ووصل الفيضان الى الرقة تاركا خلفه دماراً وخرابا [(5)] .

---

(1) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 97 .

(2) حران : مدينة قديمة من بلاد الجزيرة وقصبة ديار ربيعة ، ينظر : ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، 1 / 389 .

(3) ابن العبري : تاريخ الزمان ، 34 .

(4) التلمحري : رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري في عهد الخليفتين المأمون والمعتصم ، جمع وتحقيق : تيسير خلف ، ط 1 ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، (ابو ظبي : 2014 م) ، 109 – 110 .

(5) السرياني : تاريخه ، 3 / 75 ، لم تتطرق المصادر الاسلامية الى الفيضانات التي كانت قد جرفت اراضي عدة مدن في الجزيرة الفراتية وما خلفته تلك الفيضانات من تدمير للأراضي الزراعية مثلما تناولته المصادر السريانية بالإسهاب باستثناء ذكرها الفيضانات التي اجتاحت الموصل سيما في العصر العباسي

مما سبق يتضح ان الفيضانات التي كانت تصيب مدينة الموصل والجزيرة الفراتية وما تركته من نتائج وآثار مدمرة على الاراضي الزراعية ومحاصيلها ، وكذلك على القرى القريبة من ضفاف الانهار مسببة بذلك خسائر كبيرة وفادحة للفلاحين اجبرتهم على هجر اراضيهم وقراهم التي ما ان يمر فيها الفيضان حتى تتحول الى خرائب مدمرة ، وقد ادى ذلك الى تراجع النشاط الزراعي وقلته مسببة بذلك ازمات اقتصادية أثرت على سبل عيش سكان الموصل والجزيرة الفراتية ، وذلك لأن الزراعة كانت حرفتهم الرئيسة .

2 – **الزلازل :**

هي احدى الظواهر الطبيعية الناتجة عن حركات واهتزازات تموجية تصيب القشرة الأرضية ، وقد يكون الزلزال شديد يشعر بها الانسان ، او يكون ضعيفا لا تسجله اجهزة رصد الزلازل ، وقد وردت لفظة الزلزلة في القرآن ، اذ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ [(1)] .

وقد شهدت ارض الجزيرة الفراتية والموصل حدوث العديد من الزلازل والتي اثرت بدورها على انشطة سكان الجزيرة الفراتية المختلفة لاسيما النشاط الزراعي الذي يعد عصب الحياة لأنه المصدر الرئيس لغذاء السكان ويتوقف على انتاجه قيام العديد من الصناعات المختلفة لما يوفره من مواد اولية لتلك الصناعات ، كما ويتم تصدير الفائض من الانتاج الزراعي الى اماكن اكثر حاجه اليه ، واول تأثير للزلازل على القطاع الزراعي تمثل في سنة (100 هـ /

، اذ تعرضت الموصل للعديد من الفيضانات المدمرة التي الحقت خسائر فادحة بالأرواح والممتلكات ومؤثرة بذلك على الانشطة الاقتصادية لما تعرضت له هذه الانشطة من اضرار جسيمة جراء هذه الفيضانات ، ينظر : الأزدي ، ابو زكريا يزيد بن محمد بن أياس بن القاسم : تاريخ الموصل ، تح : علي حبيبة ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، (القاهرة : 1967 م) ، 2 / 99 ، 362 ، 422 ؛ ابن الاثير ، علي بن ابي الكرم بن محمد : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت : 1966 م) ، 6 / 95 ؛ ابن الجوزي ، ابو الفرج محمد بن علي بن محمد : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح : محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 1992 م) 6 / 390 ؛ حميد ، مها سعيد : الكوارث والاوبئة في الموصل خلال العصر العباسي ، مجلة دراسات موصلية ، جامعة الموصل ، 33 ، 67 – 77 ، 202 .

(1) سورة الزلزلة : الآية 1 .

719 م) حدثت هزة عظيمة ومخيفة فسقطت على اثرها الهياكل والكنائس ومنها كنيسة الرها القديمة وعمارات كبيرة وابنية شاهقة سقطت على سكانها ودمرت وخربت بساتين ومزارع وافسدت العديد من اشجار الفاكهة [1] .

وفي سنـة (139 هـ / 756 م) وقعـت هزة عظيمة في منتصف الليل في ارض الجزيـرة ، غـارت في باطن الارض ثلاث قرى وحدث من جراء ذلك شبه عمود كثيف من الدخان ، وجميع السكان وحيواناتهم من سكان تلك القرى تضرروا ضررا كبيرا ، وخربت اراضيهم الزراعية واعناب بساتينهم [2] .

وفي سنة (206 هـ / 822 م) حدث في ملطية زلزال رهيب اعقبته عاصفه هوجاء ، وانهارت الأبنية وانجرفت الحنطة والتبن من البيادر الى نهر الفرات [3] .

ثالثاً : مجموعة العوامل الحياتية :

1 _ الأوبئة والأمراض :

ساهمت الاوبئة وبشكل فعال في ظهور المجاعات في مناطق ومدن عديدة من ارض الجزيرة الفراتية والموصل وفي فترات زمنية متعددة ، ونتيجة لآثارها الفتاكة والمدمرة كانت سبب في هجرة العديد من سكان الجزيرة الفراتية لأراضيهم ومناطقهم فأصبحت هذه الاراضي والمناطق مهجورة وتفتقر الى اي نشاط من الانشطة الاقتصادية الباعثة للحياة .

فكان الوباء عندما يصيب اي منطقة او مدينة يقيد من حركة سكان هذه المنطقة والمدن بل عندما يشتد يمنعهم من ممارسة نشاطاتهم اليومية كالزراعة التي تعد النشاط الرئيس لسكان الجزيرة الفراتية والموصل ، ففي سنة (101 هـ / 720 م) ضرب وباء شديد منطقة سروج [4] ولخطورته منع الناس من الخروج لدفن موتاهم فأوقع المئات من الضحايا في هذه المدينة [5] .

(1) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 83 .
(2) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 84 .
(3) السرياني : تاريخه ، 3 / 99 .
(4) سروج : وهي بلدة قريبة من حران من ديار مضر ، ينظر : الحموي : معجم البلدان ، 3 / 216 .
(5) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 60 .

وفي سنة (147 هـ / 764 م) حل وباء ومرض القروح ومرض البطن في منطقة ديار بكر [1] ، فمات عدد كبير من الناس ، ففي دير زوقنين مات اثنان وأربعون شخصا نتيجة هذا الوباء [2] وان هذه الاوبئة والامراض كانت تستهدف الفئات السنية التي لا تتمتع بمناعة كافية لحمايتهم من الامراض فضلا عن قلة الاهتمام بالنظافة ، فهذه الامور هي التي رشحت الاطفال ليكونوا هم الفئة الاكثر تعرضا للأمراض .

2 – الحشرات :

لا يقل اثر وخطر الجراد المسبب للمجاعة من خطر واثر الاوبئة بل ان خطرها اوسع واكبر اثر ، فاذا ما ظهر في مدينة او منطقة الا وترك مزروعاتها من محاصيل وغلال وغيرها اثر بعد عين وهذه الحشرات تتكون من انواع عدة فمنها الزاحفة والطائرة وجميعها تشكل خطرا وتهديدا للمزروعات لأنها تتغذى على النباتات .

لذلك تعرضت المزروعات في اقليم الموصل والجزيرة الفراتية وفي مناسبات عدة لمهاجمة اسراب الجراد ، ففي سنة (102 هـ / 720 م) اجتاح الجراد الجزيرة الفراتية في موسم القطاف فأتى على الكروم والتين والزيتون حتى يبست اشجارها ، فاجهز الجراد على ثمارها ، فنقصت الغلات والخمر في كل مكان [3] .

والرها من مدن الجزيرة التي تعرضت لهجوم جحافل من الجراد ، اذ وضعت هذه الجحافل بيضها في الرها وعندما قدر الجراد على الزحف التهم واستهلك منطقة الرها بأكملها ، فنجم عن ذلك هلاك المحاصيل ومجاعة ادت الى موت ما يقارب من مائة وثلاثين شخصا في اليوم الواحد [4] .

---

(1) ديار بكر : وهي بلاد كبيرة واسعة تنسب الى بكر بن وائل وحدها ما غرب نهر دجلة الى بلاد الجبل المطل على نصيبين الى دجلة ، ينظر : الحموي : معجم البلدان ، 2 / 494 .

(2) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 72 .

(3) السرياني : تاريخه ، 2 / 383 .

(4) سيغال : الرها المدينة المباركة ، 191 .

وجاءت سنة (133 هـ / 750 م) وفيها اصيبت زروع الجزيرة الفراتية بآفة اليرقان [1] والمن والدودة وكانت هذه الحشرات على انواع فمنها الطويلة ومنها القصيرة ومنها الخفية ومنها الظاهرة ، فكان يصعد على السنابل الخضراء ويمتصها حتى انه كان يؤخذ عشر سنابل ويفركونها بأيديهم فلا يجدون فيها حبة واحدة سليمة ، كما كثر الماشوط (الجندب) فأمات الكروم وكل الأشجار المثمرة حتى انها اصابت النباتات الميتة ، كأنها البساط المفروش على الارض ، اما الجراد فلأعداده الهائلة اذا اتى على كل الحقول فأبادها اكداس اكداس ، وكان بلاؤه اكثر من بلاء المن والدود فكان اذا دخل الحقل الجيد والسمين السنبل اذابه واذبله وكأنه لم يكن [2] .

وكان لآفتي الماشوط واليرقان الاكثر تخريبا وتدميرا للمحاصيل الزراعية والاشجار بأنواعها نظرا لما يلحقانه من خسائر جسيمة بالفلاحين ويؤدي كذلك الى قلة ما يطرح من المنتوج في الاسواق فنتج عنه ارتفاع في الاسعار وهو ما يؤدي الى حدوث مجاعات في مناطق متفرقة من الجزيرة الفراتية ، اذ شهدت بلاد الجزيرة والموصل في سنة (134 هـ / 751 م) انتشار الماشوط وآفة اليرقان في مناطق متفرقة من ارض الجزيرة ، فأفسدت الجنائن والحقول واشجار الكروم والتين والزيتون فعم الغلاء وظهرت المجاعة [3] .

وظهر نوع من الحشرات تخصصت في تغذيتها على الحبوب كالقمح والشعير والتي تصيب المحصول قبل حصاده وتلحق به اضرار فادحة لكونها تعتمد في تغذيتها على ما تحمله السنبلة من حبوب فالحق خسائر جسيمة بالفلاحين لانهم لم يحصلوا على المنتوج الذي كانوا يأملون بالحصول عليه فكانوا اذا اخذوا سنبلة وفحصوها وجدوها خاوية لا تحتوي سوى القشور ، ففي سنة (145 – 146 هـ / 762 – 763 م) انقض على القمح وعلى الشعير حشرات وهما السوس القمح فهذه الحشرة كانت مستديرة ومتعددة الألوان ، اما الأرقة هي الأخرى

---

(1) اليرقان : دود يكون في الزرع ، ينظر : اليمني ، نشوان بن سعيد الحيري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : حسين بن عبدالله العمري واخرين ، ط 1 ، دار الفكر المعاصر ، (بيروت : 1999 م) 11 / 735 .

(2) الزوقنيني : تاريخ الزوقنيني ، 102 – 103 .

(3) التلمحري : الوقائع التاريخية ، 71 .

مستديرة الا ان لها مبسم مثل متك الذباب فكانت تقوم بامتصاص المادة الحيوية من السنابل مما يفقدها قوتها ولم تلبث ان يتغير لونها [1] .

ان الخاصية الخطيرة التي يمتاز بها الجراد عن بقية الحشرات هي مهاجمته للحقول والمزارع بأعداد هائلة على شكل اسراب ، فإذا ما تعرضت منطقة ما لهجوم بمثل هذه فإنها ستعرض لضيق شديد ويصل به الامر في اغلب الأحيان الى المجاعة لان الجراد يكون قد استهلك المحاصيل جميعها وعبث بها ، اذ عانت بلاد ما بين النهرين سنة (167 ه / 784 م) من ضيق شديد جراء انتشار الجراد في كل انحاء البلاد كما يصفه التلمحري [2] كشاهد عيان عندما كان يدخل بيتا من الجنوب كان يخرج من الشمال وهو يسير قدما ويلتهم كل ما يصادفه والاشجار وانتشر سيما في الرها وما جاورها ، ونتيجة لذلك حدثت مجاعة في الارض اثناء السنين الثلاث التالية بسبب قلة الخبز والخمر والزيت وجميع انواع الخضار .

خصت اسراب الجراد هذه مدن محددة من الجزيرة الفراتية فهاجمتها بأعداد كبيرة وألحقت بمحاصيلها وغلاتها الخراب والدمار فأصاب السكان الجوع والغلاء لقلة المحاصيل وانعدامها لديهم ، ففي سنة (167 ه / 784 م) شهدت الرها وسروج هجوم اسراب من الجراد الطيار فدمر الزروع والغلات فعم الجوع والغلاء الارض جميعا [3] .

ولكون ارض الموصل من الاراضي الزراعية سيما في انتاج محصولي الحنطة والشعير اللذين يشغلان مساحات زراعية واسعة من اراضي الموصل ، لذلك كان تعرضها لهجوم اسراب الجراد امر وارد الحصول وبنسبة كبيرة ، ففي (339 ه / 954 م) التهم الجراد كل شيء في منطقة الموصل وبغداد [4] .

---

(1) التلمحري : تاريخ الأزمان ، 77 – 78 .

(2) تاريخ الأزمان ، 251 – 252 .

(3) ابن العبري : الزمان ، 13 .

(4) البير ابونا : تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ، ط 2 ، دار المشرق ، (بيروت : 2002 م) 201 .

وفي سنة (348 هـ / 960 م) شهدت الموصل ظهور جراد بأعداد كبيرة وسبب ضيق بعد ان قضى على جميع المحاصيل ، وعلى اثر ذلك ظهرت مجاعة أودت بحياة العديد من الناس [1] .

يقترن حدوث الغلاء والمجاعات مع ظهور الجراد لما يسببه ظهوره من تدمير للمحاصيل والمزروعات ، مما يجعل المحاصيل غير كافية لسد احتياجات الناس من المواد الغذائية ، ففي سنة (349 هـ / 961 م) ظهر جراد كثير بالموصل فحدث على اثره غلاء وجوع [2] ، وشهدت سنة (358 هـ / 969 م) ظهور الجراد وبكثرة ببلد الموصل ايضا [3] .

لا يقتصر ظهور الجراد على منطقة دون اخرى ومن المرجح ان ظهوره في أي منطقة يتوقف على مدى توفر الظروف المناخية الملائمة فضلا عن وفرة المحاصيل والغذاء اللازم وعجز السلطات عن مكافحتها ويزداد خطره اذا كان من النوع الطيار ، اذ شهدت سنة (513 هـ / 1120 م) غزو جراد طيار ملطية وأكل قسما من الزروع وبعد مدة ظهر جراد ناعم التهم جزءا من الزروع ثم اختفى [4] .

الخاتمة

يتضح لنا من خلال ما سبق النتائج الآتية :

1.أوردت المصادر السريانية معلومات مهمة ونادرة قد لا نجدها في المصادر الإسلامية ، ومن الانصاف القول ان المصادر السريانية اغفلت الكثير من المعلومات التي انفردت بها المصادر الإسلامية ، كما أن المصادر السريانية شاطرت ما ورد من معلومات عن الأزمات الاقتصادية التي عصفت بالموصل والجزيرة الفراتية في المصادر الإسلامية .

2.لعبت العوامل الطبيعية دورا سلبيا في الأزمات الاقتصادية في الموصل الجزيرة الفراتية خلال مدة موضوع البحث ، والتي كانت متنوعة ومتفاوتة في مدى خطورتها وحجم تأثيرها ،

---

(1) ابن العبري : تاريخ الزمان ، 61 .

(2) ابن العبري : تاريخ الزمان ، 61 ، وشهد هذا العام غلاء شديد في البلاد ، وكان اكثره بالموصل فبلغ الكر من الحنطة بألفي ومائتي درهم ، والكر من الشعير بثمانمائة درهم ، وهرب أهلها الى الشام والعراق ، ينظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، 6 / 358 .

(3) ابن العبري : تاريخ الزمان ، 65 .

(4) السرياني : تاريخه ، 3 / 173 .

اذ لعب الجفاف وانحباس الأمطار دورا كبيراً في حدوث الأزمات الاقتصادية ، اذ كان لذلك أثره على الثروات الزراعية والحيوانية والنبات الطبيعي .

3.تسبب انحباس الأمطار الذي تكرر في أكثر من عام في ظهور الأزمات الاقتصادية ، فاحتل بذلك المرتبة الاولى في تكوين هذه الأزمات والذي تزامن مع عوامل طبيعية اخرى ، الأمر الذي ضاعف ذلك الأثر في تكوين تلك الأزمات قياسا بالعوامل الطبيعية الأخرى .

4.عُدت الفيضانات احدى أكثر الكوارث الطبيعية تدميراً للأراضي الزراعية لمات تخلفه من خراب لمساحات شاسعة من هذه الأراضي ، فضلا عن الحاقها خسائر كبيرة في الأرواح والأموال وتخريبا في الممتلكات العامة والخاصة ، وكان نصيب مدينة الموصل من هذه الفيضانات كبير لا سيما في فصل الربيع لقربها من ضفاف النهر ، فضلا عن غزارة الأمطار على منابع النهر والمناطق الشمالية التي يجري فيها النهر وشدة انحدار هذه المنطقة ، فيؤدي ذلك الى حدوث فيضانات مدمرة ألحقت أضرارا بالغة بمدينة الموصل لاسيما عام (146 هـ / 763 م) .

5.لعبت بقية العوامل المناخية ومنها ارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها والتساقط واشكاله والرياح والعواصف دوراً ثانوياً في احداث أزمات اقتصادية ، اذ كان دورها يتفاقم اذا اجتمعت مع عوامل أخرى أكثر قوة كالجفاف او الفيضانات .

6.ينتج عن هذه الكوارث والأزمات الاقتصادية ظهور نوع من الاحتكار لدى البعض ، وهذا بدوره زاد من حدوث المجاعات والغلاء ، وتدهور أحوال الناس بشكل كبير .

7.ايضا نتج عن هذه الكوارث والأزمات حدوث هجرات لسكان تلك المناطق .

References:

- Abn AlEabri : Makhtutat Tarikh Al'Azminat , Tarjamat : Shadiat Tawfiq , AlMarkaz alqawmiu liltarjamat , alqahirat : 2007 , 360 .

- Abn AlEabri : Tarikh AlZaman ,Naqluh AlAa AlEarabiat : Ashaq Armilatan , dar almashriq , bayrut : 1999 , 460 .

- 'Aghnatyus Bin Qustantin AlManbajiu : AlMuntakhab Min Tarikh AlManbaji , Tahqiq : Eumar Eabd AlSalam Tudmuri , dar almansur , (tarabulus : 1986, 340 .

- AlRaahib AlZuwqanini: Tarikh AlZuwqaninii AlManhul Lidiunisius AlTilimahirii , Tarjamat : Butrus Qasha , almaktabat albulisiat , bayrut : 2006 , 560 .

- Bsaam Adris AlJilbi, Hawliaat AlMawsil Mundh AlFath AlAslamii Sanatan 16 h / 637 m hataa nihayat alqarn altaasie eashar sanatan 1900 m / 1318 h , dar aljil , almawsil : 2013, 550.

- Diunisus : AlWaqayie AlTaarikhiat AlSiryaniat Min Sana (587 - 774 m) , tarjamat : butrus qasha , almunazamat alearabiat liltarjamati, bayrut : 2016 , 620 .

- Ethaman Eali Muhamad Eata : Al'Azamat AlAiqtisadiat Fi Misr Fi Aleasr AlMamlukii Wa'athariha AlSiyasii Walaiqtisadii Walaijtimaeii (648 - 923 h / 1250 - 1517 m) , alhayyat almisriat lilkitab , 2010 , 420 .

- Jan Muris : 'Ahwal AlNasaraa Fi Khilafat Bani AlEabaasi, dar almashriq , bayrut : 1990 , 490.

- Nshwan Bin Saeid AlHayrii : Shams AlEulum Wadawa' Kalam AlEarab Min AlKulum , Tahqiq : Husayn Bin Eabdallah AlEumari Wakhrun, dar alfikr almueasir , bayrut : 1999, 1400 .

- Sighal : AlRiha AlMadinat AlMubarikat , Tarjamat : Yusuf Abarahim Jabra , dar alriha , halab : 1988, 450 .

Disasters and economic crises in Mosul and the Euphrates Island through syriac Historical sources

(2 – 7 century A . H / 8 – 13 century A . D)

IBRAHIM HASSAN MOHAMMED*
SAAD RAMADHAN MOHAMMED**

Abstract

The research deals with the most important and important economic crises that hit the region of Mosul and the island of Euphrates, which was unveiled in the historical Syria sources during the period from the second century AH / 8th century to the seventh century AH / thirteenth century AD. We have been keen in this modest research to cite the most important reasons that led to these crises as well as we dealt with the most important negative consequences that left in the economic aspects and social effects.

The important thing that must be mentioned that the Syria historical sources often differed in mentioning information of a economic nature from what was mentioned by the mothers of Islamic sources, this will be explained later.

Key words : agricultural؛ animal؛ Localization

* **Nineveh Directorate of Education / Iraqi Ministry of Education.**
** **Prof . Asst./ Department of History / College of Human Education / University of Mosul**